﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾

[طه: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الطُّغاةُ أهلُ التفافٍ وإلهاءٍ وعزوفٍ عن الجادَّة

لَمَّا ذكر في الآية السابقة إشغالَ فرعونَ لموسى ﷺ بالحكايات[1]، فسألَهُ عن أحوال القرون الأولى، ليستهلكَ الحوارَ فيما لا يُجدي؛ أجابه موسى بتفويض ما سأل عنه إلى علم الله سبحانه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عِلۡمُهَا﴾: (علم) أَصْلٌ يدُلُّ على أَثَرٍ بالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ به عن غَيْرِه، مِنْ ذَلِكَ العَلامَةُ، وهي مَعْروفة، يُقالُ: عَلَّمتُ على الشَّيْءِ عَلامَةً، والعلمُ: الجَبَلُ، وكُلُّ شَيْءٍ يَكونُ مَعْلَمًا: خِلافُ المَجْهَلِ، والعِلْمُ: نَقيضُ الجَهْلِ، وقياسُهُ قياسُ العلم والعَلامَة[2]، والعِلمُ أيضًا: المَعْرِفَةُ، يُقال: عَلِمتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا، أيْ: عَرَفْتُهُ، ويأْتي العِلْمُ بمعنى الإتقانِ والإحْكام، يُقال: عَلِمَ الأَمرَ، وتَعَلَّمَهُ، أيْ: أَتْقَنَهُ، ومِن مَعانيه: الإدْراكُ والاعْتِقادُ والتَّصْديقُ والظَّنُّ[3]، والمُرادُ بالعِلمِ في الآية: مَعْرِفَةُ الأَشياءِ بكَيْفيَّةِ اليَقين.

2) ﴿يَضِلُّ﴾: (ضلّ) أَصْلٌ يدُلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وذَهابه في غَيْرِ حَقِّه[4]، والضَّلال: الغَيبوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبن؛ إذا غاب، وضلَّ الكافِرُ: غابَ عَنِ الحُجَّة، وضلَّ النَّاسي؛ إذا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(3) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (علم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضلَّ).

غابَ عَنهُ حِفظُه[1]، والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عنِ الطَّريقِ، يُقالُ: ضلَّ فلانٌ يَضلُّ ضلالًا؛ إذا انحرفَ وضاعَ، ولم يهتدِ إلى الطَّريق، وضَلِلْتُ الشَّيْءَ أَضِلُّهُ؛ إذا جعلتَهُ في مَكان، ولم تَدْرِ أَين هو، وأضْلَلْتُه، أَي: أضَعْتُهُ[2]، وضِدُّهُ: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ، والمقصود بالضَّلالِ في الآيةِ: الخَطَأُ في العِلْمِ، شُبِّهَ بخَطَأِ الطَّريقِ[3].

3) ﴿يَنسَى﴾: (نسي) أَصْلٌ يدُلُّ على إِغْفالِ الشَّيْءِ[4]، يُقالُ: نَسيَ فلانٌ شيئًا كان يَذْكُرُهُ، وإنَّه لنسيٌّ، أي: كثير النِّسيان، والنِّسْيُ: ما أُغفِل من شَيْءٍ حقيرٍ، ونُسيَ[5]، والنِّسْيانُ: تَرْكُ الإنسانِ ضبطَ ما استودِعَ، إمَّا لضَعْفِ قلبِه، وإمَّا عن غفْلةٍ، وإمَّا عن قصْدٍ حتى يَنْحَذِفَ عن القلبِ ذِكْرُهُ، يُقال: نَسيتُهُ نِسْيانًا[6]، والمُرادُ بالنِّسْيانِ في الآيةِ: عَدَمُ تَذَكُّرِ الأَمرِ المَعْلومِ في ذِهنِ العالِمِ[7].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

قال موسى لفرعون: عِلمُ القُرونِ الماضيةِ وأعمالُ أهلِها كُلُّها مكتوبةٌ عندَ رَبّي في اللَّوحِ المحفوظِ، فهم إنْ لم يُؤمِنوا باللّه، ويَعبُدوه وحدَه، فسيُجازيهم على ذلك، ولا علمَ لي بهم، لا يَشِذُّ عن علمِ رَبّي شَيءٌ، ولا يفوتُه صَغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا ينسَى شيئًا، فلا يُخطئُ في أفعالِه وتدبيرِ خَلقِه، ولا ينسى شيئًا مِن أعمالِ عبادِه وأحوالِهم وأخبارِهم، ولا يَترُكُ فِعلَ ما هو حِكمةٌ وصَوابٌ[8].

اللهُ تعالى هو المُختصُّ بعِلْمِ الغيبِ في الماضي والحاضرِ والمُستقبلِ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (ضلَّ).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 235.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (نسي).
(6) الراغب، المفردات: (نسي).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 235.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 83، 84، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 298، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 296، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 507.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ في قوله: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا﴾:

الحكيم يُغالِبُ التشغيبَ في الحوار ولا يُجاريه

جملةُ: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ استئنافٌ بيانيٌّ لوقوعه جوابًا عن سؤال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ [طه: 51]، ولذلك فُصِلتْ، وبين الجملتين شبهُ كمال اتِّصال، والجواب من أسلوب الحكيم؛ صرفًا لفرعونَ عن الخوض فيما لا يُجدي في مقامِه ذلك، لكون موسى عليه السلام بصدد دعوة الأحياءِ لا البحث عن الأمواتِ الذين أفضَوا إلى عالم الجزاء، ففوَّض إلى علم الله، ولم يفصِّل؛ امتناعًا منه عن مجاراة فرعون في تشغيبه، وتعريضًا به في انشغاله عن الأهمِّ بسؤاله عمَّا لا ينفع، وعدولًا من موسى عن الاشتغال بغير الغرض الذي جاء لأجله، ولا يخفى ما فيه من الإحالةِ والتفويض عند عدم الإحاطة بالتفاصيل والدَّقائق، فإنَّ موسى عالمٌ بمُجمَل أحوال القرون الأولى، وغيرُ عالمٍ بتفاصيل أحوالهم وأحوال أشخاصِهم[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدر ﴿عِلۡمُهَا﴾:

المعلوماتُ كلُّها بالنسبة لِعلم الله أزليَّة

لم يقل في السياق الكريم: (يعلمها ربّي)، بل عبَّر بالمصدر دون الفعلِ، فقال: ﴿عِلۡمُهَا﴾؛ لأنَّه أراد الحقيقة المستقرَّة لهذه المعلومات، وهذا يتعلَّق بالمعنى المجرَّد الذي هو الحدث، دون الحدوث الذي هو المُزاولةُ الفعليَّة الزَّمنيَّة، ولذا جاء المصدر مقرونًا بمعنى الأزليَّة الدَّائمة في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖۖ﴾؛ أي: العِلْمُ بهذه المعلومات صفةٌ ثابتةٌ لله أزلًا كاشفةٌ للمعلومات الثابتة في اللوح المحفوظ، فلا تتخلَّف معلومةٌ منها عن عِلْم الله.

نكتةُ إيثارِ الضَّمير المتَّصل على الاسم الظَّاهر:

في الإضمار اتِّساعٌ وفُسْحةٌ في المدلول

لم يقل في السياق الكريم: (علمُ القرونِ عند ربي)، فأضاف إلى الضَّمير دون الاسم الظاهر، فقال: ﴿عِلۡمُهَا﴾؛ طلبًا للإيجاز،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 234.

واكتفاء بالظاهر السَّابق في جملة السؤال، ولوضوح مُفسِّر الضَّمير وعدم التباسه، مع كون الإضافة للضَّمير مُشْعِرةً بتعظيم العِلم عن إضافته للاسم الظاهر، ففي الإظهار محدوديَّةٌ، وفي الإضمار اتِّساعٌ وفُسْحةٌ في المدلول.

سرُّ التَّعبيرِ عن مقول القول بالجملة الاسميَّة:

بـابُ الاعـتـقـادِ بـابُ تـحـقـيـقٍ ورسوخ

التَّعبيرُ عن مقول القول بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾؛ للدَّلالة على تحقيق مضمون الجملةِ على جهة الدَّوام والثبوت، ولا يخفى ما فيه من تعليقِ القلوب في باب الاعتقاد بما هو تحقيقيٌّ رُسوخيٌّ في أسلوبه ومعناه.

سرُّ استعمال العنديَّةِ ﴿عِندَ رَبِّي﴾:

العِلمُ بأحوال الماضيين متعذِّرٌ بالإحاطة

إسنادُ العِلم إلى عنديَّةِ الله سبحانه إشارةٌ إلى كون أحوالِ القرون الأولى على جهة الإحاطة من سرِّ القدر[1]؛ لأنَّها من صفحات الغيب الماضي، والغيب مختصٌّ به سبحانه ثابتٌ عنده، إلَّا أن يُطلع الله رسولًا من رسله بما شاء منه، فأشار موسى عليه السلام بإحالته للعنديَّةِ إلى أصلٍ من أصول النبوَّةِ، وهو كونُ الأنبياء لا يقولون في أمرٍ من الأمور إلا بإذنٍ وإجازة من الله، وإلَّا فلا يتقوَّلون من غير علم، فكان هذا الجوابُ بهذا الأسلوب من دلائل نبوَّةِ موسى عليه السلام؛ لأنَّ المدَّعي لا يُحيلُ بل يتقوَّل.

نكتةُ إيثارِ الرُّبوبيَّة ﴿رَبِّي﴾:

العبدُ قيدُ ربوبيَّةِ الله في العطاء والإمداد

إيثارُ الربوبيَّة على الألوهيَّة - في قوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ - تلويحٌ بإحسان الله عليه[2] بالنبوَّةِ وبإمداد العِلم والحكمة، وتضمينٌ لجوابه بما يشبه التَّعليلَ له، أي: هذا الإجمالُ في الجواب بإحالة عِلم القرونِ الأولى إلى الله سبحانه هو - كما قال موسى - لأنّي قيدُ ربوبيَّته

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 517.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 295.

سبحانه في الإمداد والعطاء، فما زادني به من العِلم؛ قُلتُ به، وما لم يزدني فيه عِلمًا؛ أحَلْتُهُ إلى منبع زيادتِه وإمداده، وهو ربوبيَّتُه سبحانه، فالإسناد للرُّبوبيَّة إشارةٌ إلى الزّيادة والسَّعة في العِلم والانكشاف الإلهيِّ التي هي من مقتضيات الرُّبوبيَّة، ولذا أحال إليها، ودلَّ عليها، وفي إيثار الربوبيَّة نفيُ العلم عن نفسِه بإثباتِه لربِّه.

بلاغةُ الإضافةِ في لفظ: ﴿عِلْمُهَا﴾:

الإحاطةُ التامَّةُ بالمعلومات لا تكون إلَّا لله

في إضافة المصدرِ للمفعول[1] المضمرِ في قوله: ﴿عِلْمُهَا﴾ مبالغةٌ في ثبوت المعمول لعامله، ولإفادة العموم، أي: علْمُها الشَّامل الكامل إجمالًا وتفصيلًا لا يكون إلَّا لله، فإضافةُ المصدرِ لمعموله من صيغ العموم[2]، والعمومُ المقصودُ هو في استغراق الخصائص والصِّفات، وهو استغراقُ الماهيَّة والحقيقة، أي: لا يعلمها بحقائقِها المطابقة إلَّا اللهُ، وأمَّا عِلْمُ البَشَرِ لها؛ فيعتريه قصورٌ في استيعاب الحقائق والأكْناه؛ لأنَّها مُغيَّباتٌ بقرينة وصْفِها بـ﴿ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: 51]، والغيْبُ قد يدلُّ على إجماله وتفاصيله بطريق الإخبار لا بطريق المُعاينةِ، كمن يروي وقائعَ التَّاريخ الماضية، وهو لم يعاينها، أو يقع العموم مُستغرِقًا للأفراد؛ لأنَّ عِلمَ البشر للقرون الأولى لا يحيط بجميع أفراده وتفاصيله، فذلك لا يكون إلَّا لله المتَّصف بكمال العلم والإحاطة، وأمَّا البشرُ؛ فيعرفون التَّفاصيلَ من غير إحاطةٍ، ولذا كان العمومُ باعتبار الجهتين - الحقيقةِ والأفرادِ - مُرادًا من المصدر المضاف، وهو قصرٌ حقيقيٌّ لا شرِكَةَ فيه، ولذا جاء التَّعبيرُ بالمصدر دون الفعلِ؛ لأنَّ حقيقةَ العلم كائنةٌ لله وحده، بخلاف ما لو قال: (يعلمها ربّي)، فالفعليَّة لا تنفي الاشتراك في العلم، وكذا الحصرُ المستفادُ من عموم المصدر المضاف حاصلٌ بقرينة العنديَّةِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 235.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 363.

فإنَّ العلمَ المذكور باعتبار جهته في العنديَّة لا يكونُ إلا لله؛ لأنَّه عند الله في الكمِّ والكيفيَّة على غير ما عند سواه.

سرُّ تأنيثِ الضَّمير في: ﴿عِلْمُهَا﴾:

الأصـــــلُ في الضمير عـــوْدُهُ على اللَّفظ

تأنيثُ الضَّميرِ في قوله: ﴿عِلْمُهَا﴾؛ لأنَّ الجمعَ يجوز أن يُؤنَّث ضميرُهُ[1] بحسب اللفظ، اعتبارًا لما يعود عليه، وهو قوله: ﴿ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: 51]، أو يذكَّر بحسب المعنى، فيقال: (عِلْمُه)، أي: عِلمُ المسؤول عنه.

سرُّ تنكيرِ لفظ ﴿كِتَٰبٍ﴾:

أغـراضُ التَّنكيرِ تتباينُ بتباينِ المعنى

التَّنكير في قوله: ﴿كِتَٰبٍ﴾ للتعظيم والإجلال، أي: في كتابٍ رفيع القَدر عظيم السِّرِّ، وهذا على أنَّ الكتاب يرادُ به اسمُ العلم، وهو اللَّوح المحفوظ، أمَّا إن أُريد به المعنى اللغويُّ – وهو الدَّفتر الذي تُكتَبُ فيه المعلومات أيًّا كان – فالتنكير على بابه من إرادة الإبهامِ وعدم التعيين.

بلاغةُ الاستعارةِ في التركيب:

الاســتــعــارةُ الـتـمـثـيـلـيَّـةُ حـاصـلـةٌ في التراكيب

في تركيب: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ إنْ أُريد بالكتاب المعنى اللغويُّ (الدَّفتر)، وليس العلميَّة (اللوح المحفوظ)؛ ففي التركيب استعارة تمثيليَّةٌ، بتشبيه الهيئة المأخوذةِ من علم الله سبحانه بتفاصيل الأمور عِلمًا ثابتًا لا يتغيَّر، ولا يزول بالهيئة الرَّاسخة الحاصلة للعالِمِ بشيءٍ قد كتبه في دفتره، وقيَّده فيه، فلا ينساه، ولا يزول عنه، فذكرَ اللَّفظَ الموضوع للمشبَّه به، وأُريد به المشبَّهُ[2]، ويكون قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ ترشيحًا للتَّمثيل[3]، واحتراسًا أيضًا من توهُّم الضّياع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 235.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 364.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 517.

بلاغةُ الكنايةِ في جملة: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ﴾:

الكتابةُ قيدُ العلم وتحقيقُه

الإخبارُ عن كون العلم مشمولًا في الكتاب كنايةٌ عن تحقيق العلم؛ لأنَّ الأشياءَ المكتوبة تكون مُحقَّقَةً[1].

موقعُ جملة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ ممَّا قبله:

تقييدُ العلم في الكتاب لا للاحتجاج للاحتياج

جملة: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ لبيان أنَّ إثباتَ العِلم في الكتاب، ليس للاحتياج إليه، أو لاحتمال خطأ أو نسيانٍ - تعالى اللّه سبحانه عنه - ويكون الوقفُ تامًّا عند قوله: ﴿كِتَٰبٍۖ﴾، ثمَّ استأنف للاحتراس والتَّنزيه عن مشابهةِ المخلوقينَ في احتياجهم للكتاب، ويُحتمل أن تكونَ الجملةُ تذييلًا لتأكيد الجملة السابقةِ متَّصلةً بها صِفةً لكتاب ولا انقطاع[2].

الإظهارُ في مقام الإضمار:

مَنِ استأنسَ بأحدٍ ردَّد اسمَهُ

أعادَ التصريحُ باسم الربوبيَّةِ المضاف إلى ضميره في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾، ولم يقل: (علمُها عند ربّي في كتابٍ لا يضلُّه ولا ينسى)؛ للتلذُّذ بذكره، ولزيادة التقرير، والإشعار بعلَّة الحكم، فإنَّ الربوبيَّة ممَّا يقتضي عدمَ الضلال والنسيان حتمًا[3]، ولمراعاة وجه القطع والاستئناف في الجملة عمَّا قبلَها.

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَّا﴾ في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾:

دلالةُ النفي تتباينُ بقرينة المقام

(لا) تدخلُ على الفعل المضارع، فلا تقيِّده بزمنٍ على الأرجح، وقيل: تخلِّصه للاستقبال، والحقُّ أنَّ زمن المضارع المنفيِّ بها يتحدَّد بالسّياق، فتنفيه في زمن الحاضرِ والمستقبل مع إفادة الاستمرارِ، كما هو المعنى هنا في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

عودُ الضَّمير المستكنِّ في: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ و﴿وَلَا يَنسَى﴾:

الضَّميرُ المستكنُّ في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ هو للكتاب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 235.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 21.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 21.

إمَّا على الفاعليَّة أو المفعوليَّة، فعلى الفاعليَّة فالجملةُ من صفات الكتاب، لا يضلُّ الكتابُ اللّهَ، بمعنى: لا يغيب عنه، ولا ينسى، بمعنى: لا يدع الكتابُ شيئًا إلا أحصاه، وإمَّا على المفعوليَّة، فالضميرُ العائد على الكتاب هو المفعول، وربّي هو الفاعل، والجملةُ من صفات اللّه، أي: هذا الكتابُ لا يَضِلُّه اللّهُ، ولا ينساه، بمعنى: لا يقع الخطأ من اللّه في معلوماته ومقاديره، ويصحُّ تقديرُ الضمير المستكن عامًّا، ونفي الضلال والنسيان عن اللّه في كلِّ شيء، وهذا أوفقُ على اعتبار جملة النفي مستأنفةً مقطوعة ممَّا قبلها[1].

الموجوداتُ مقهورةٌ لله لا تعزب عنه ولو مثقال ذرّة

بلاغةُ الاستعارةِ في النسيان:

على جعلِ جملة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ من صفات الكتابِ، فنفيُ صفةِ النسيان عن الكتاب استعارةٌ في نفي التَّرك وإثبات الإحصاء، أي: لا يدعُ شيئًا من الحوادث إلَّا أحصاه، والاستعارة تصريحيَّةٌ حيث شبَّهَ الكتاب في إحصائه وعدم تفويته للصغيرة والكبيرة بالنسيان؛ بجامع الزّوال في كلٍّ[2].

الكتابُ المحفوظُ لا يغادر شيئًا إلَّا أحصاه

المجازُ العقليُّ في الإسناد إلى الكتاب:

على جعْلِ جملة ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ من صفات الكتاب، فإسنادُ الضَّلال والنِّسيان المنفيَّين إلى الكتاب مجازٌ عقليٌّ، بإسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقيِّ؛ لأنَّ الكتابَ لا يتَّصف بعدم الضلال وعدم النسيان، إلَّا بَصوْن الحفيظِ عليه، فالفعل في الحقيقة من القائمِ عليه الجاعلِ له، لا من الكتاب ذاته.

خصائصُ الأشياء مخلوقةٌ لله، فالله هو الفاعل الحقيقيُّ لآثارها

بلاغةُ الجمعِ بين الضَّلال والنسيان:

الجمعُ بين الضَّلال والنسيان في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ لاستيفاء جُمَلِ الآفات التي تُخِلُّ بالعِلم، وتقدحُ فيه، وهي لا تخرج

نفيُ الضلال والنسيان كنايةٌ عن كمال العِلم وسلامته

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 47.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 47.

عن الغلط في المعلومات أو فواتها، فالغلطُ فيها بالضلال، والنَّقصُ فيها بالزَّوال، وهو النسيان، ولذا كان نفيُ الضلال والنسيان كنايةً عن كمال العِلم وسلامته.

بلاغةُ تقديم الضَّلال على النسيان:

الغلطُ في المعلوم أهـونُ مـن عـدم حصوله البتَّةِ

قدَّم الضلالَ على النسيان في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ انتقالًا مِنَ الأدنى إلى الأعلى، فإنَّ الغلط في المعلوم أدنى من عدم حصوله بالكلّيَّة.

بلاغةُ المجازِ في ظرفيَّة الكتاب للعِلم:

الصِّفاتُ هيئاتٌ نـفـسـانـيَّـة لا تُعرَف إلَّا بآثارها

إثباتُ العِلم في الكتاب في قوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ من باب المجاز[1]، إذ المثبت حقيقةً إنَّما هو نقوشُ الألفاظ المتضمِّنة شرحَ أحوالهم المعلومةِ له تعالى[2]، فالمُثبَت هو لفظُ العِلم لا نفس العِلم.

بلاغةُ الكنايةِ في جملة الفاصلة:

صـفـاتُ الـلـه لا تفتقرُ للتكميل كـــصـــفـــات الحوادث

جملةُ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ كنايةٌ عن كمال صفة العلم الإلهي، وانتفاء مُشابهة الحوادث عنها، وفيه تعريضٌ بفرعونَ؛ لأنَّه زعم أنَّ الربوبيَّة مشتركةٌ بينه وبين الله لقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: 24]، ولعلَّ هذا من أسرار إظهارِ الربوبيَّة في ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ وهو تتميمُ التعريضِ بربوبيَّته التي ادَّعاها، ومفادُ التعريض، أي: لا يقع الضلالُ والنسيان لربّي كما يقعانِ لك[3]، بدليل أنَّهُ قد غاب عنك – وأنت تدَّعي الربوبيَّة – علمُ القرون الأولى.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضّلال والغواية:

أصل (ضلَّ) يدلُّ على ضياع الشَّيءِ وذهابه في غير حقِّه[4]،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 364.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 517.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 10/ 183.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضل).

الـضـلالُ يقع عمدًا أو سهوًا، وأمَّا الغيُّ ففيه تعمُّد

ولذا كان العدولُ عن الصراط المستقيم ضلالًا[1]؛ لأنَّه غيبوبةٌ عن المسار الذي ينبغي، وتضييعٌ للقصد، فالضَّلال يُطلق على العدول أو الغيبوبة أو الضياع عمَّا ينبغي عمدًا أو سهوًا[2]، ومنه ضلالُ المعلومات، كما هو هنا في قوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ والمقصود به: الغلطُ فيها والإخلال بحقيقتها.

وأمَّا (غوى)، فأصله يدلُّ على ضلالٍ وإظلامٍ في الأمر وفسادٍ في الشَّيء[3]، ولذا كان الغيُّ هو الجهل المُسبَّب عن اعتقادٍ فاسد[4]، وهو الضلالُ المُسبَّب عن الهوى وما في معناه[5]، والفرق بين الضلال والغيِّ أو الغِواية: هو أنَّ الضلال يقع عمدًا أو سهوًا، وأمَّا الغيُّ؛ فهو ضلالٌ بهوًى وانجذاب، ففيه درجةٌ من التعمُّد، وهذا سِرُّ الجمع بينهما في قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: 2]، أي: ما ضلَّ بهوًى ولا بغير هوًى[6].

(1) الراغب، المفردات: (ضل).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (ضلل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غوى).
(4) الراغب، المفردات: (غوى).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غوى).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غوى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»